الدباغة وصناعة الجلود في الاقتصاد السومري

نصرت آدمو*

تمهيد

بالرغم من ندرة اللقى الاثرية من جلود الحيوانات والمنتجات التي صُنعت منها في تنقيبات المدن السومرية إلا ان ما وصل الينا من معلومات من خلال النصوص المسمارية والمنقوشات الصورية على الاختام الاسطوانية يعطي لنا صورة واضحة عن هذه الصناعة حالها في ذلك حال صناعة الغزل والمنسوجات بسبب الانتشار الواسع لها في جنوب ميزوبوتاميا منذ الالفية الثالثة قبل الميلاد وبعد ذلك بفترة طويلة.

كانت دباغة الجلود احدى أولى الفعاليات المهمة التي مارسها الانسان منذ الازمان القديمة عندما اصطاد فرائسه من الحيوانات المختلفة وحاول الاستفادة من جلودها كملابس او خيام لوقايته من تأثيرات المناخ والطبيعة، إلا ان تصلبها وانكماشها في الصقيع البارد وتمددها وتلفها بحرارة الشمس العالية دعت هذا الانسان عن غير قصد ومن دون علم مسبق الى محاولة استعادة لدانتها وإزالة بقايا الشحم والانسجة والشعر منها بدلكها وفركها بشحوم الحيوانات لجعلها اكثر فائدة. وفي بعض المجتمعات البدائية تم ذلك بغمسها بالبول قبل قشطها بواسطة سكين حادة [1].

وفي المزيد من التطورات اللاحقة التي تحققت سواءا عن طريق الصدفة او بالتجربة اكتُشفت طرق أخرى للدباغة اما بحرق اوراق واغصان الشجر وتعريض الجلود لدخانها او تجفيفها في اشعة الشمس بعد غمسها بمحلول الملح او استعمال منقوع لحاء او ثمار بعض أنواع الاشجار وخاصة أشجار البلوط، فكان ان انتشرت هذه الطرق بمرور الزمن الى مختلف بقاع العالم القديم كما جرى عليها بعد ذلك المزيد من التطورات باستعمال بعض المواد العضوية والكيمياوية.

***نصرت آدمو: مهندس استشاري دولي متخصص بالسدود والموارد المائية وباحث في تأريخ العراق القديم مقيم في السويد حاليا.**

نُشر المقال بتأريخ 28/ أذار / 2024

ولم يكن الانسان ليكتفي بدبغ الجلود للاستعمالات البسيطة التي اشرنا اليها بل استفاد منها لخدمة أحتياجاته المختلفة ليس اقلها الصنادل والأحذية واطارات عربات الحرب التي كانت تُسّمر على ادواليبها الخشبية بالمسامير النحاسية وغيرذلك من الاستعمالات. ومن الثابت تأريخيا توطن الدباغة في جنوب ميزوبوتاميا خلال الالفية الخامسة قبل الميلاد بينما أصبحت صناعة المنتوجات الجلدية صناعة واسعة قائمة بذاتها هناك قبل بداية الالفية الثالثة قبل الميلاد. [2][3][4].

وليس بعيدا عن ميسوبوتاميا وبالتحديد في أرمينيا تم اكتشاف خف بحالة جيدة جدا كان مصنوع من قطعة واحدة من جلد البقر ويعود تاريخه الى 3500 ق.م وبقى مدفونا في كومة من براز الأغنام داخل احد الكهوف (الشكل 1) مما يجعلنا نميل الى الاعتقاد بأن مثل هذه الأحذية كانت متوفرة منذ ذلك الزمن في ميزوبوتاميا عامة بالنظر للتواصل الجغرافي الوثيق مع أرمينيا ومناطق الشرق الأدنى من خلال التبادل التجاري والمعرفي بين هذه الاقاليم.



الشكل 1 : صورة لأقدم خف جلدي يعود الى 3500 ق.م وقد عثُرعليه في احد الكهوف في أرمينيا مدفونا في كومة من براز الأغنام [5].

دباغة الجلود

جاء القسم الاكبر من الجلود التي جرت دباغتها في ميزوبوتاميا من حيوانات مثل الاغنام والماعز والماشية والحمير تليهم في هذا التسلسل الخنازير، بينما كانت الاستفادة من جلود الخنازيرالبرية والوعول والغزلان نادرة جدا. ولم يرد أي إشارة في النصوص المكتشفة عن جلود بعض الحيوانات الأخرى مثل التيس الجبلي والثيران الوحشية والدببة بالرغم من ان وجود هذه الحيوانات قد امكن التحقق منه من خلال النصوص المكتوبة. وبحسب العديد من المصادر فأن الحيوانات التي تم الحصول على جلودها قد تكون ماتت نتيجة حوادث عارضة او قد هاجمتها الكلاب المتوحشة او جرى ذبحها خصيصا للاستفادة من

جلودها ولحومها، وكانت هذه الجلود تعتبر في ميزوبوتاميا من اجزاء الحيوانات ذات القيمة الاقتصادية المهمة ويجب الاستفادة منها في كافة الأحوال حتى ان احدى الرسائل التي عُثر عليها في تل قوينجق في اثار نينوى تنص على ذبح الأغنام المريضة وسلخها للاستفادة من جلودها [6].

ويبدو للوهلة الاولى بأن كميات الجلود المُسلّمة من مربي الماشية والاغنام والفلاحين الى الدباغين التي اشارت اليها النصوص المسمارية بصورة عامة كانت قليلة نسبة الى حجم الثروة الحيوانية في ذلك الزمن، حيث يذكر احد النصوص المكتوبة على لوح طيني معدلا سنويا بحدود 2150 قطعة من تلك الجلود كانت قد أستُلمت من احدى المقاطعات الزراعية التابعه لدولة مدينة اومّا. وبصرف النظر عن هذا النص الذي قد يمثل حالة أستثنائية يبين احد علماء الاثار بأن هذه الكمية تبدو غير واقعية واقل كثيرا من الكمية الحقيقية في أي سنة من السنين خاصة وقد تكرر ذكر استلام وتسليم كميات كبيرة من الجلود في السجلات الإدارية والاقتصادية التي عُثر عليها في المدن السومرية من فترة دولة سلالة اور الثالثة وكذلك فترة إيسن ـ لارسا اللاحقة. كما يستدل من الوثائق بأن فن الدباغة نفسه كان يتطور بصورة مضطردة طوال الحقبة السومرية ولاحقا في الفترة البابلية القديمة وصولا الى الفترة البابلية الحديثة وتوسع استعمال المنتجات الجلدية بحيث انها دخلت في كافة نواحي الحياة في ميزوبوتاميا.

تعتبر عملية الدباغة بحد ذاتها عملية معقدة لذلك كانت تعتبر في ميزوبوتاميا حرفة تخصصية وكان الدباغ يسمى باللغة السومرية (*ašgab*) بينما كان يدعى (*aškappe*) باللغة الاكدية ويلاحظ بان العلامة المسمارية السومرية التي تعني "دباغ" هي بشكل كيس جلدي منفوخ [7]. وجاءت تسميات الحرفيين العاملين في صناعة المنتجات الجلدية بأن يتم اشتقاق الاسم المركب بإضافة كلمة (*ašgab*) الى اسم السلعة الجلدية التي يصنعها ليتم التعريف الدقيق بطبيعة عمل ذلك الحرفي، فعلى سبيل المثال -*ašgab* (*tagha*) تعني صانع الأشرطة والاحزمة والاوتار الجلدية.

وقبل الخوض في المزيد من التفاصيل المتعلقة بهؤلاء الحرفيين والسلع التي تخصصوا في صنعها لابد أولا من إعطاء فكرة سريعة عن عملية الدباغة نفسها. فقبل المباشرة بدباغة الجلود كان من الضروري إزالة الشعر والشحم وبقايا القطع اللحمية والانسجة الرابطة واي بقايا من الشعر من سطحها ليجري غسلها بعد ذلك ونقعها بمحاليل من مواد متنوعة وسحبها وتجفيفها. ويجري نقع الجلد بأن يتم لّملمة قطعة الجلد بشكل قِربة تملأ بمحلول الدبغ ثم تُوضع في برميل الدباغة لبعض الوقت. و جاء في احد النصوص المكتوبة على لوح طيني التالي :

"400 من جلود الأغنام ... قِرب... نُقعت في المحلول وجُففت".

كما يتبين من دراسة عدد من النصوص التي تعود الى الالفية الأولى ق.م أي في وقت متأخر عن الحقبة السومرية بأن من مواد الدباغة كان هناك الشب والعفص وصَمغُ شجرٍ المُرُّ والشحم [8].

وبصورة عامة يمكن القول بأن عملية الدباغة كانت تتم بواسطة واحدة من ثلاث طرق، الأولى: بإضافة الاملاح المعدنية مثل الشب أو البوتاسيوم، والثانية باستخدام الزيوت ويستعمل غالبا زيت السمسم، وثالثا باستخدام المواد النباتية مثل العفص الغني بحمض التنّيك. ووفقًا للمصادر التاريخية القديمة كان هناك تقليديا طريقتين مفضلتين للدباغة في غرب آسيا، فكانت الطريقة البدائية تتم باستخدام الملح أو اللبن الرائب والدقيق لإزالة الشعر ثم استعمال قشر الرمان أو جذور النباتات لإجراء الدباغة الفعلية، بينما في الطريقة الأكثر تقدما استُعمل الجير الحي (النورة) لنزع الشعر واستخدمت المرارة أو لحاء البلوط أو السماق أو الشب بعد ذلك. وقد تم التحقق من احتواء بعض النصوص الطقسية السومرية على وصفات لدباغة جلود الماعز والاغنام ووصفات أخرى لدباغة جلود الماشية والحيوانات الكبيرة الحجم، ففي معالجة جلود الماعز والاغنام تتم إزالة الشعر من سطوح الجلود باستخدام الحليب والدقيق أولا ثم تُفرك بعد ذلك بالزيت والدهون ليتم معالجتها بعد ذلك بالشب المذاب في عصير العنب، ويطلق على الجلد المستحضر في نهاية هذه العملية تسمية (*KUŜ-TAB.BA*) وفيه يصبح الشعر قابلا للنزع بسهولة ويسمى عندئذٍ (*TAB- sepû*) وتدعى المادة المستعملة في هذه العملية بصرف النظر عن نوعها (*kurru*) اما الشعر المنزوع فيطلق عليه (*querdu*). ومن الطريف ان نذكر بأن احدى اللعنات التي تضمنتها بعض العقود التجارية من الفترة الاشورية الجديدة تنص على دعاء بحق من ينكل ببنود ذلك العقد بأن يشرب طاس من (*kurru*) ويأكل ميتًا من (*querdu*) [9]. اما عند معالجة جلود الماشية والحيوانات الأكبر حجما مثل الثيران والخنازير والخيل فكان الجلد يوضع في الدقيق اولا ثم يُغسل بالماء ثم بالبيرة والنبيذ بصورة متناوبة وبعد ذلك يتم وضعه في خليط من السمن (الزبدة المصفاة) والنباتات العطرية والدقيق ليجري دهنها في اخر المطاف بالشب.

وفي وصف مختلف قليلا وجِد في جزء من احد النصوص الطقسية المكتشفة لعملية ذبح ثور من ثيران الاضاحي وكان مقررا ان يسلخ جلده وينشر على حاوية الغلاية ليجفف في الوقت الذي كانت تقرأ عليه الصلوات جاء التالي:

"خذ هذا الجلد وضعه في محلول من دقيق القمح الناعم مع الماء والنبيذ الجيد ثم ادلكه بشحم ثور نقي والشب من بلاد الحثيين وكذلك العفص".

وعلى الرغم من ان تأريخ هذا النص يرجع الى الالفية الأولى قبل الميلاد إلا انه في الغالب يعكس تقنية تعود الى الالفية الثالثة قبل الميلاد حيث تنقع الجلود في المحلول بعد خلط كافة مواد الدبغ مع بعضها [10].

ومن المعروف تاريخيا انبعاث روائح كريهة خلال هذه عمليات الدباغة مما أدى الى ابعاد مراكز دبغ الجلود الى ضواحي المدن كما استُخدمت مواد عطرية للتغلب على تلك الروائح.

استعمالات المنتجات الجلدية عند السومريين

لم يقتصر استعمال الحاجيات الجلدية في مجتمعات مدن ميزوبوتاميا على ما ذكرناه سلفا من اشكال عديدة بل كانت تقدم هدايا وقرابين للآلهة أيضا، وبحسب عدد من النصوص فقد جرت العادة في مدينة أومّا خلال فترة سلالة اور الثالثة على تقديم المنتجات الجلدية بالإضافة إلى الطعام وغير ذلك من المواد قرابيناً للآلهة واعتبار ذلك جزءاً من الطقوس الدينية بما كان يسمى طقس (ساتو كوم. *sattukkum*) وبموجب هذا الطقس تقدم تلك القرابين إلى الإله أولاً ثم يعاد توزيعها بعد ذلك على ألاعضاء البارزين في المجتمع، ومنهم على سبيل المثال حاكم المدينة وتدعى عندئذٍ (*šakkanakkum*) وإلى أثنين من المعابد لإستخدامها في أبواب واغراض عدة، كما قُدمت إلى (ألإنسي *ensí*) لأستخدامها في دواليب عربات الحرب اضافة إلى رئيس مؤسسة الدباغة والعديد من الأشخاص الآخرين ممن يبدو انهم كانوا من ذوي الرتب العالية.

وتجدر الإشارة الى اكتشاف ثلاثة نصوص قصيرة مثيرة للاهتمام تغطي في حالتين منها اثني عشر شهرًا وفي الحالة الثالثة خمسة شهور من سنوات حكم الملك شولگي هي الأعوام السابع والثلاثين والتاسع والثلاثين والاربعين وقد أوردت نلك النصوص بأنه تم تقديم 1155 و563 و1146 قطعة من الجلود المدبوغة قرابين لأكثر من اثني عشر إلهًا في أومّا. وحسب النظام آنف الذكر تذكر النصوص إعادة توزيعها بعد ذلك على مسؤولي المعبد تمامًا كما كان الحال في توزيع القرابين من الأطعمة المقدمة للالهة.

وغني عن القول فقد كان للجلود المدبوغة استعمالات متعددة في الكثير من المجالات منها صناعة وتزيين القوارب والمركبات الملكية إضافة الى الأبواب والكراسي والعروش والأحزمة وأَعِنَّة وسروج الخيل والدواب وحتى اطواق اعناق الثيران التي تُربط اليها المحاريث لحمايتها من التقرحات والجروح، بالاضافة الى صنع شُوالات وحقائب النقل وقِرَب المياه والنبيذ واكياس الملح والبذور والدقيق والتوابل والأعشاب العطرية والطبية (*mun-gazi*) ، كما استخدمت في صنع الطبول والدفوف وإنتاج اوتار القيثارات ناهيك عن العدد الحربية من خوذ وحمالات أسلحة وجعاب سهام واطارات دواليب العربات الحربية بالإضافة الى الأحذية والصنادل والاحذية الطويلة (الجزم). وتفيد بعض النصوص بمنح الرُسُل والسُعاة الذين استخدموا كثيرًا خلال فترة أورالثالثة لنقل البريد والرسائل عددًا قياسيًا من الصنادل الجلدية والأحذية وقِرب الماء قبل الشروع في رحلاتهم وحصل مرافقي القوافل من المشاة عليها ايضا [11].

تطورت صناعة منتجات الجلود السومرية منذ ما يزيد عن 3500 سنة ق.م وأمكن من خلال دراسة مفردات اللغة السومرية التي جاءت في العديد من النصوص المسمارية السومرية المكتشفة حصرعدد كبير من تلك المنتجات وقد تطرقنا الى ذكر أسماء العديد منها في السطور أعلاه وتم لحد الآن حصر 276 إشارة الى هذه المنتجات في تلك النصوص. وما وجده الباحثون عند دراستهم لتلك النصوص هو بأن مفردة (*KUŠ*) تشير الى الجلد المدبوغ كمادة وعند ورودها في بداية اسم احدى السلع فان الكلمة تعني

بأن تلك السلعة "جلدية". وكان هناك أيضا عدد مهم من المفردات التي تشير الى مصدر الجلد كأن يكون ثور او عجل او بقرة او تيس وغيرها من الحيوانات مثل الماعز والاغنام والضباع والذئاب وما الى ذلك. وعُثر ايضاعلى مفردة (*KUŠ*) السومرية بنفس المعنى في نصوص باللغة الأكدية القديمة (1959-1530) ق.م وكذلك في نصوص من فترة بابل القديمة، ثم تغير الحال لاحقا في اللغة الأكدية ألحديثة لتحل مفردة (*maśkú*) محل مفردة *KUŠ*) ومن خلال هاتين المفردتين امكن حصر أماكن انتشار المنتجات الجلدية في المدن القريبة والبعيدة.

كان من الطبيعي ان تنتشر السلع الجلدية المنتجة من قبل السومريين ليس في دويلات المدن فحسب بل تعدى ذلك الى الأقاليم المحيطة بجنوب ميسوبوتاميا والاقاليم الأخرى البعيدة وذلك بسبب توسع تجارة السومريين وتماشيا مع ازدهار الاقتصاد السومري السريع والنموالاجتماعي والحضري الكبير في مجتمعات دويلات المدن الذي بدأ في فترة فجر السلالات (2800- 2350) ق.م واستمر لاحقا خلال الفترة الأكدية وفترة سلالة اور الثالثة مما جعل الحاجة تزداد الى المواد الخام وباقي المواد التي لم تتوفر لديها. وقد أدى التوسع في هذا التبادل التجاري الى تصدير العديد من المنتجات السومرية ومنها السلع الجلدية وساعد هذا على انتشار تلك المنتجات في مناطق مثل بلاد الاناضول وبلاد القوقاز ومناطق في شمال ميزوبوتاميا مثل منطقة ماري وكذلك في إيران وبالخصوص منطقة سوسة اضف الى ذلك سواحل الخليج العربي وبلاد السند.

النصوص المسمارية الخاصة بمنتجات الجلود السومرية

في واقع الامر لم يعثر المنقبون عن الاثارعلى نماذج من السلع الجلدية السومرية في الحفريات الاثرية التي جرت في ميزوبوتاميا وكذلك في الأقاليم الاخرى ربما عدا الخف الذي اشرنا اليه في البداية الذي عثر عليه في أرمينيا وبقى محفوظا تحت ظروف بيئية مساعدة، ويكمن السبب في ان هذه المنتجات سريعة العطب والتحلل ولايمكنها مقاومة عوامل البيئة لعشرات السنين فكيف الحال بعد مرورعشرات القرون، لذلك تبقى النصوص اللغوية المكتشفة في تلك التنقيبات هي المصدر الأساسي للمعلومات عنها، ومن ذلك على سبيل المثال مفردات سومرية اقتبسها الحثيون الذين توطنوا في بلاد الاناظول في حوالي 2000 عام قبل الميلاد ومنها ما يخص المنتجات الجلدية، فهم اضافوا المفردة (*KUŠ*) السومرية على الأسماء الحثية لتشير الى كونها منتجات جلدية ومن الأمثلة على ذلك كلمة (*Kuš- apputri*) فكلمة (*apputri*) هي كلمة حثية تعني سرج الحصان وعند إضافة المفردة السومرية (*Kuš*) اليها تعني الجزء الجلدي من سرج الحصان.، كذلك كلمة (*iś- iman*) الحثية التي تعني خيط او حبل او حزام او طوق فعند إضافة المفردة (*Kuš*)امامها تصبح (*Kuš- iś- iman*) وتعني خيط او حبل او حزام او طوق مصنوعين من الجلد.

أضافة الى ما تقدم ليس من باب الصدفة ان نجد إشارات الى التبادل التجاري المبكر الذي كان قائما بين جنوب ميزوبوتاميا ومصر القديمة من خلال استعارة المفردات اللغوية المختلفة مما يؤشر التواصل بين الحضارتين منذ أوقات مبكرة جدا. وفي هذه الحالة استعار المصريون المفردات المتعلقة بالمنتجات الجلدية مثل (*Kuš*) السومرية و(*maśkú*) الأكدية اللتين تعنيان كلمة "جلد" كما اسلفنا وقرنوهما مع مفردات من اللغة المصرية القديمة منذ أيام المملكة القديمة (2670- 2168) ق.م وبالتالي كانت لفظة (*gś*) المصرية تقابل لفظة (*Kuš*) السومرية كما ان لفظة (*msk3*) االمصرية تقابل لفظة (*maśkú*) الأكدية وجميع هذه الالفاظ اقترنت بأمور تُعنى بالجلود ومنها على سبيل المثال مهنة "عامل الجلود" بمعنى "الإسكافي" .[12]

بلغت صناعة منتجات الجلود ذروة ازدهارها في فترة سلالة اور الثالثة والفترات اللاحقة ويمكن ان نحكم على ذلك من وفرة النصوص المكتشفة التي تتحدث عنها. ومن النصوص المثيرة للاهتمام احدها الذي عُثر عليه في اثار مدينة "بوزرش- داگان" الواقعة الى الجنوب من مدينة نيبور(نُفر حاليا) في الموقع الحالي المسمى (تل دريهم)، وكان هذا النص مكتوبا على وجهي لوح طيني بقياس 33× 42 ميليمترا وتكون من ثلاثة عشر سطرا ندرجها مع الترجمة العربية <u>التي قمنا بأعدادها عن النص الانكليزي</u> (الجدول 1) كما نقدم التعليق عليها كما جاء في مجلة الدراسات المسمارية (الجزء 9، العدد 1 لسنة 1955) الصادرة عن جامعة يل الامريكية بقلم الباحث البرخت گويتز (Albrecht Goetze) [13].

جدول 1: نص من اثار مدينة بوزرش- داگان" يتعلق بصرف احذية جلدية مع الترجمة العربية

1 ^{kuś}suhưb.TÛG.du$_{s}$- a é.ba-an	زوج واحد ... حذاء ذو رقبة طويلة
2 a.tu$_{5}$-a sag.ud.sar	من اجل احتفال التغسيل
3 šà.Gu-ru-šál-la^{ki}	في الضياء الجديد (للقمر)
4 1 ^{kuś}e.sír TÛG.du$_{8}$-a é.ba-an	في گورو سالا.
5 é.ud.7	زوج واحد ....من الصنادل
6 šà.Ki-sur-raki	ليلة اليوم السابع
7 I ^{kuś}šuhưb.TÛG.du$_{8}$-a é.ba-an	في كيسوره.
8 +šà.+É-a KUR-gír-ni- šé maškim	زوج واحد ....حذاء ذو رقبة طويلة
9 ki.I-du-du-a-ta	الى شائيا
10 ba-zi	في داخل البيت
11 itu.maš-dù.kú	صُرف
12 mu.us-sa É.Şilluš $^{iš-d}$ Da-gan ba-dù	من أيدودو
13 mú.us-sa-bi	في شهر ماس- دو- كوي
	بعد سنة من بناء بوزرش- داگان

في التعليق على هذه الوثيقة يبين الباحث "البرخت گويتز" بأن التقويم الذي اشير اليه في النص يثبت بأن مصدر الوثيقة هو مدينة "بوزرش- داگان É-Şilluš-Dagan "وهو موقع "تل الدريهم" حاليا وموضوعه قائمة تضمنت أحذية ذات عنق طويل (*kuš suhub*)- انظر السطور 1؛ 7؛11 من الجدول، وصنادل (*kuš e.sír*)- انظر السطور 4؛1 من الجدول السابق، في الوقت الذي نعلم فيه أيضا بأن كلمة "TÛG.*du₈-a*" لوحدها تعني عملية صنع حذاء مبطن ربما باللباد او تُشير الى نوعية جيدة من هذه السلعة. وعلى الرغم من عدم موثوقية ترجمة الكلمة (*é.ba an*) إلا انها اعتمدت هنا لتعني (زوج) أي زوج من الأحذية. ويفهم من النص بأن زوجين من هذه الأحذية جرى استُعمالهما في احتفالات دينية في مكانين مختلفين خلال الشهر قيد البحث. والحفل المقصود هوحفل "التغسيل" الذي كان يجري في بداية الشهر ويدعى باللغة السومرية (*a.tu₅-a*) بينما في اللغة ألأكدية (*rimku*)، ويتم الاحتفال به عند (*sag.ud.sar*) وتعني حرفيا "عند رأس الهلال" ويقصد بذلك "اول ما يُشاهد الضوء الجديد للقمر وبالتالي تُعلن بداية الشهر الجديد". وبعد ذلك يفهم من السياق بأن المصطلح التالي (*é.ud.7*) يعني تأريخ محدد وهنا يعني ليلة اليوم السابع. ويفهم من النص بأن الحفل الأول تم في (گوروشالا Gurušalla)- انظر السطور 1؛3 من الجدول السابق، بينما احتُفل بالثاني في (كيسورة Kisurra)- انظر السطور 1؛6 من الجدول وهذه البلدة معروفة من نوع اللِبن المكتشف فيها وتقع في موقع أبو حطب الحالي. وأخيرا يخبرنا النص بأن الزوج الثالث من الأحذية ذهب الى رجل في داخل البيت وليس من الواضح المقصود بالبيت هنا [13].

وفي نفس الموقع تم اكتشاف مجموعة كبيرة جدا من السجلات الإدارية المكتوبة على الواح الطين تعود الى فترة حكم الملك "أمّار- سوينا *Amar-Suena*" ملك دولة اور في فترة سلالة اور الثالثة خلال الفترة (2046- 2038) ق.م وإبن الملك العظيم شولگي، وقد قام المركز الشرقي في جامعة شيكاغو بدراسة وتحليل 605 لوح من تلك الالواح بالإضافة الى تصنيفها في سجلات حسب عائديتها الى المكاتب الإدارية المختصة المسؤولة عنها في مدينة "بوزرش- داگان" بالإضافة الى ترقيمها لسهولة الرجوع اليها. ومن تلك السجلات سجل يخص أنواع الأحذية المختلفة التي جرى التصرف بها لذلك أعطي لهذا السجل اسم "سجل الأحذية"، وفي هذا السجل النص (496) والنص (497) يخصان صرف عدد من ازواج الأحذية العالية العنق (جزم) بتخويل من مسؤول مكتب الأحذية المدعو (*šu-Eštar*) المقيم في نيبور. وفي ادناه ما ترجمة وتفسيرالنص (497):

"تم صرف ثلاثة ازواج من الأحذية عالية العنق المبطنة بالصوف وذات الكعوب البيضاء الى كاهنة (*en*) في معبد إنليل.... صُرف زوجين اخرين الى كاهنة (*lagar*) في معبد إنليل ..... الموظف المسؤول عن الصرف (*zabar- dab*) المخول من قبل (*šu-Eštar*) مسؤول مكتب نيبور".

ومن الملاحظات على النص أنه بيّن صرف عدد من الأحذية الى كاهنة كنيتها ومرتبتها (*en*) يزيد على

ما صرف للكاهنة التي كنيتها (*lagar*) مما قد يعني ان الكاهنة الأولى اعلى مرتبة من الثانية بحسب تسلسل المراتب لكاهنات معبد الآله إنليل. كما ان غياب وصف للاحذية المصروفة الى الكاهنة الثانية من النص قد يعني ضمنيا بانها من نفس النوعية التي صرفت للكاهنة الأولى.

كما ورد أيضا في النص المرقم 592 من نفس السجل المؤرخ في الشهر الحادي عشر من السنة السابعة من فترة حكم الملك "امّار- سوينا" ما يفيد بأن الموظف المسؤول (*šu-Eštar*) تسلم 186 من الخيوط الذهبية من (*Lugal-ku- zu*) لغرض تطريز الأحذية عالية العنق او لاستعمالها شرائط لرباطاتها [14].

والاستناج الواضح من هذه النصوص فهو ان صنع الأحذية في تلك الفترة كان قد وصل الى درجة عالية من التقدم والفن والتنوع.

إضافة الى ما تقدم فقد اكتُشف المزيد من النصوص الاقتصادية في اثار مدينة "إيسن *Isin*" خلال فترة حكم سلالتها الملكية الأولى التي أعقبت سقوط امبراطورية اور الثالثة وجاء ذكر الجلود ومنتجاتها المختلفة فيما يزيد عن 500 نص من تلك النصوص تعود الى فترة حكم الملكين الاولين من هذه السلالة كل من (إشبي -إيرا *Ishbi-Erra*) و(شو- يلشو *Shu-ilishu*) ومعظم هذه النصوص تخص تعاملات بمادة الجلد ومنتجاتها موزعة على الجلود المدبوغة وغير المدبوغة وطرق معاملتها والمنتجات الجلدية المختلفة التي أوردنا ذكر العديد منها سابقا. ويلاحظ بأن هذه النصوص بانها مشابهة الى درجة كبيرة بطريقة الكتابة والعرض للنصوص الخاصة بالأعمال المماثلة التي تعود الى فترة سلالة اور الثالثة التي سبقتها، كما انها من الناحية اللغوية تُشير الى بداية التحول من اللغة السومرية الى اللغة الاكدية نطقا وكتابة. اما عن أسماء العلم الواردة فيها فتنبئ بأن الافراد الذين وردت أسماؤهم ينتمون الى مجموعات عرقية مختلفة منها السومرية والاكدية إضافة الى العمورية وبعض المجموعات العرقية الأخرى ولكن بدرجة قليلة، مما يشير الى التغلغل التدريجي للعموريين في المدن السومرية خلال هذه الفترة [15].

أثر الدباغة وصناعة الجلود في الاقتصاد السومري

من كل ما تقدم يمكن التوصل الى استنتاج مهم بشأن دباغة وصناعة المنتجات الجلدية السومرية وهو ان هذه الصناعة كانت من اهم الصناعات التحويلية التي عرفها السومريون ومارسوها بصورة مبكرة. وكان هذا الامر طبيعيا بالنظر لما وصلته الثروة الزراعية من ازدهار وما صاحبها من توسع في تربية الحيوانات من ماشية واغنام وماعز وخنازير إضافة الى المزيد من الاستفادة من الحيوانات البرية التي كانت جميعها مصدرا طبيعيا مهما للجلود. وجاء التقدم والتطور الاجتماعي المصاحب لهذه التغيرات وتزايد الحاجة الى السلع والعدد والأثاث والأدوات الجلدية المستخدمة في كافة النشاطات الاخرى الى تقدم طرق الدباغة وتطويرها ونشوء طبقة من الحرفيين والمتعاملين بكل هذه المنتجات والمتداولين بها من التجار من خلال التبادل التجاري. ولم يقتصر هذا التبادل التجاري على حواضر المدن السومرية بل ان

الجلود ومنتجاتها احتلت مكانا مرموقا ضمن قائمة السلع المصدرة للأقاليم والبلاد المحيطة وحتى البعيدة عن ميزوبوتاميا والتي تضمنت أيضا الفخاريات والزجاج والقمح والزيوت والتمور ومنتجات القصب المختلفة والمنسوجات وغيرها لقاء استيراد المواد الخام من نحاس وفضة وذهب والاحجار الثمينة وما الى ذلك مما افتقده السومريون في موطنهم [16]. وعليه فقد كانت هذه الصناعة من اهم الدعائم المهمة للاقتصاد السومري خلال الفترات المختلفة من الحقبة السومرية وذلك لأشتغال عدد كبير من الحرفيين وأصحاب المهن بها فكانت مصدر رزق لهم، إضافة الى انها وفرت عن طريق التبادل التجاري خاصة مع الأقاليم الأخرى احتياجات المجتمع السومري من مواد خام وغيرها مما افتقدوه في ميزوبوتاميا منها وكانت ضرورية لأدارة عجلة هذا الاقتصاد.

المصادر

[1] Levey M. “Chemistry of Tanning in Ancient Mesopotamia”. Journal of Chemical Education. Vol 34, No 3, March 1957.

https://doi.org/10.1021/ed034p142

[2] Leather Resource, LLC. “A story that began a long time ago” accessed on 16 March 2024.

http://www.leatherresource.com/history.html.

[3] von Behr D. “History of tanning – Mesopotamia”.

https://www.leathernaturally.org/wp-content/uploads/2023/02/History-of-Tanning-_-Mesopotamia.pdf

[4] Seigman M.“The History and Cultural Impact of Leather”. Smit & zoon” accessed on 16 March 2024.

https://isitleather.com/blog/the-fascinating-history-of-leather/

[5] Ravilious K. “World's Oldest Leather Shoe Found- Stunningly Preserved”. National Geographic Society Magazine, June, 11, 2010

https://www.nationalgeographic.com/culture/article/100609-worlds-oldest-leather-shoe-armenia-science

[6] Levey M. "Chemistry of Tanning in Ancient Mesopotamia". Journal of Chemical Education. Vol 34,No 3, March 1957. Page 142, Foot note 2.
https://doi.org/10.1021/ed034p142

[7] الجادر، وليد ، " صناعة الجلود في وادي الرافدين "، مجلة سومر، صفحة (308) عدد (27) 1971

https://archive.org/details/20240323_20240323_1039/mode/2up?q=

[8] Levey M. "Chemistry of Tanning in Ancient Mesopotamia". Journal of Chemical Education. Vol 34,No 3, March 1957.
https://doi.org/10.1021/ed034p142

[9] Scurlock J. "On Some Terms for Leatherworking in Ancient Mesopotamia". SAOC 62 Proceedings of the 51st Rencontre Assyriologique Internationale, Held at the Oriental Institute of the University of Chicago, July 18–22, 2005
https://www.academia.edu/11856686/On_Some_Terms_for_Leatherworking_in_Ancient_Mesopotamia

[10] Levey M. "Chemistry of Tanning in Ancient Mesopotamia". Journal of Chemical Education. Vol 34 No 3, March 1957.
https://doi.org/10.1021/ed034p142

[11] Potts D T. "Mesopotamian Civilization - The Material foundation". PP. 95-97 London 1997
https://ia801402.us.archive.org/15/items/MesopotemianCivilizationTheMaterialFoundations/PottsMesopotamienCivilisation1997.pdf

[12] de Vartavan, C., (2014) "Leather And Skin as Markers of Early Exchanges Between Western Asia and Egypt?", *Journal of Ancient Egyptian Interconnections* 6(2), 59-61.
doi: https://doi.org/10.2458/azu_jaei_v06i2_de_vartavan

[13] Goetze A "A DREHEM TABLET DEALING WITH LEATHER OBJECTS".
Journal of Cuneiform Studies, Vol. 9, No. 1 (1955), pp. 19-21

https://www.jstor.org/stable/1359054

or

https://www.journals.uchicago.edu/doi/10.2307/1359054

[14] Hilgert M "Drehem Administrative Documents from the Reign of Amar-Suena" Oriental Institute Publications. Volume 121 PP 68-70 The Oriental Institute of the University of Chicago. 2003

https://isac-idb-static.uchicago.edu/multimedia/523/OIP121.pdf

[15] Crawford V E. "Sumerian Economic Texts from the First Dynasty of Isin" PP.48-66 in Babylonian Inscriptions in the Collection of James B, Nies. Vol IX. 1954 YALE UNIVERSITY

https://babylonian-collection.yale.edu/sites/default/files/files/BIN09.pdf

[16] Mark J. "Trade in Ancient Mesopotamia" - World History Encyclopedia. published on 22 November 2022

https://www.worldhistory.org/article/2114/trade-in-ancient-mesopotamia/

Abstracts

Tanning of animal hides and skins is an ancient art which had developed throughout thousands of years. In Mesopotamia, the Sumerians practised this art and made leather articles to serve their daily needs as far back as 3500 BC. Evidence of their tanning technology and leather products come from cuneiform texts found inscribed on thousands of clay tablets in the administrative and economical archives salvaged from the ruins of their many cities in south Mesopotamia that were excavated during the last century. Deciphering many of these texts by archaeologists has revealed the details of tanning as practised and wide scope of tools and articles manufactured by the Sumerians then. Moreover, studies have shown that these products served as trading merchandise in commercial dealings within and between the Sumerian cities on one hand and with the surrounding and far away regions on the other. This whole activity gave a strong boost to the Sumerian economy in employing large numbers of craftsmen and artisans, and at the same time, in exchanging these products with raw materials and other badly needed commodities not found in Mesopotamia but obtainable from foreign lands.

Keywords

Tanning, animal hides and skins, Mesopotamia, Sumerians, cuneiform, administrative and economical archives.